دور الزيارة الأربعينية في تنمية فكر الشباب وتربيتهم دينياً

الباحثة إيناس شريم

الجمهوريّة اللبنانيّة

photoscd0@gmail.com

الملخص

إن الإسلام هو نظاما تربوياً خاصاً يصيغ من خلاله شخصية الإنسان ويقوَم مساره في الحياة بما ينسجم مع تعاليم الدين ويحقق غاياته في نفسه وفي المجتمع، فالنظام الذي اتبعه أهل البيت عليهم السلام يتوزع رواياتهم على عدة مسارات، فأحياناً توجه رواياتهم الإنسان المؤمن بشكل مباشر باتجاه الخير والإصلاح والصواب، وحيناً آخر يتم الإصلاح من خلال خلق الأنموذج في المجتمع وتجسيد المبادئ والقيم علمياً على أرض الواقع، فيراها الناس فيتأسون بها، كما فعل المعصوم وتعامله مع الناس، ففعله حجة يستنبط منه الأحكام ويعرف منه الفضائل. "إنَي تاركٌ فيكم الثقلين ما إن تمسَكتم بهما لن تضلَوا بعدي: كتاب الله وعثرتي أهلَ بيتي، لن يفترقا حتى يردا عليَ الحوض" فكيف إذا كان الأنموذج هو سيد الشهداء عليه السلام.

الكلمات المفتاحية: زيارة الاربعين، التنمية، فكر الشباب، التربية الدينية.

The role of the forty-day visit in developing the intellect of youth and educating them religiously

Researcher Enas Sherry
Lebanon Republic

Abstract

Islam is a special educational system through which the person's personality is shaped and his path in life is straightened in line with the teachings of religion and achieves his goals in himself and in society. And at another time. reform is accomplished by creating a model in society and scientifically embodying principles and values on the ground. so people see them and take comfort in them. just as the infallible did and his dealings with people. so his action is an argument from which he derives rulings and learns from him the virtues. "I forsake the two burdens in you. As soon as you cling to them. you will not go astray after me: the book of God and my stumbling block are my household. They will not be separated until they are returned to the basin."

Key words: Arbaeen Visit, Development, Youth Thought, Religious Education.

المقدمة

شكلت الزيارة الأربعينية بُعداً إجتماعياً يتمثل في ثورة الإمام الحسين عليه السلام الخالدة، وأصبحت من شعائر الشيعة بكل جوانبها الحماسية. فقد كانت الزيارة قديماً تقتصر على مجموعة من العلماء والوجهاء في النجف الأشرف، ولقد تعرض أولئك للمنع وفي التسعينيات أصبحت شبه معدومة حتى زوال صدام حسين، حيث أخذت منحى مهماً سواءً من داخل العراق وخارجه.

هذه المسيرة تتجدد في كل عام وتُولد من جديد. هذه الظاهرة بكل أبعادها لم تعد محصورة على مجموعة متدينة، بل أصبحت كل الطبقات والإتجاهات تسير نحو كربلاء التي تمثل في جوهرها علاقة وطيدة بين أتباع الإمام الحسين عليه السلام. فهذا الصوت الذي يكرر كل عام أبدا والله ما ننسى حسيناً هو إحياء قبلة الثوار وأبا الأحرار وسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، هذه الذكرى حاضرة بكل مأسيها وعلى مر السنين يتجدد العبق الكربلائي في قلوب عشاق الحسين عليه السلام ومحبيه، وتتجدد الذكريات المفجعة ولكن الإمام الحسين عليه السلام طرزها بالفخر والهمة والصلابة. ليصبح نهج الحق ودافع الحماس والوثوب والعزائم والأمل والتفاني لا إلى الإستسلام والخضوع والحزن والأسى «فهيهات هيهات منا الذلة» هو مدرسة البطولة والصمود والكرامة والشجاعة.

الحسين عليه السلام هذا التاريخ الذي لا يموت فإيحاء هذه الذكرى الأربعينية إحياء للنهضة الحسينية بكل مفرداتها، وتجديد الذكرى لوفاء الإمام الحسين عليه السلام ولآل البيت عليهم السلام، هي ثورة وعطاء لمستقبل زاهر بأيدي المكافحين والثائرين، هي القوة في مواجهة التحديات الكبرى التي تلف حياة الأمة، هي الشعلة الحسينية التي لا تنطفىء في قلوب الموالين والمحبين والعاشقين المتجددة في كل عام هي الطريق الممهد للأخذ بالثأر والنيل من الظلمة والوقوف مع صاحب العصر عجل الله فرجه.

الفصل الأول:

الزيارة الأربعينية وتعريفها

قبل البدء بالتعريف على زيارة الإمام الحسين عليه السلام وعلى مضامينها العامة، وعلى كيفية صياغتها لثقافة الإنسان وعقيدته وسلوكه، من المفيد أن نتعرف إلى معنى الزيارة ودورها في الإسلام، وما تمتاز به من الطقوس التي تمارس عند بعض المعتقدات والأديان. لندخل من خلال هذا الفهم إلى التربية الحسينية وأثارها على تنمية الشباب.

أ. نظرة عامة في الزيارة:

الزيارة في الإسلام هي نحوٌ من العمل العبادي الذي يؤديه المسلم ابتغاء وجه ربه سبحانه وتعالى، وطلب مرضاته والتقرب اليه، من خلال القيام بها على الوجه الذي يريده الله جل جلاله، بأدائها بمضمونها وهدفها وغايتها بذكر الله سبحانه وتعالى وإحياء القلب.

أن يزور عارفاً بحقه عليه السلام محتسباً أمره إلى الله سبحانه وتعالى، وأن يزوره حباً وشوقاً له فعن أبي

عبدالله عليه السلام «من أتى قبر الإمام الحسين عليه السلام تشوقاً إليه كتبه الله من الآمنين يوم القيامة»[1].

وأن يصدر الإلتزام بالقيام بزيارة عن التقوى، لا عن أسباب شخصية، ومبررات محكومة بنزعات الهوى، ورغبة تحيد عن التزام خط الإستقامة الإيمانية.

القيام بأداء التكليف على أفضل وجه بطريقة محترمة ومأدبة في الممارسة.

أن يُحسَن خُلُقهُ بعلاقته بعباد الله، بحيث يكون من دلائل وعلامات حسن تأثير الولاء للإمام الحسين عليه السلام، في أخلاق الزوار، وحسن علاقتهم بالناس.

أن يتقدم بإخلاص وصدق، وأن يكون واصلاً نفسه بكل خلق الله من الملائكة والناس والموالين. وأن ينعكس هذا الصدق والإخلاص في قوله، فلا يحدث خاصة بما يتعلق بسيرة الإمام الحسين عليه السلام وقضيته، إلا بما فيه إخلاص في الصدق وتثبت من تحقيق رضا الأئمة الأطهار عليهم السلام وخاصة منهم إمام العصر الحجة عجل الله فرجه.

ب. المعنى اللغوي والإصطلاحي للزيارة:

١. لغوياً:

الزيارة من الزَور، والزَورُ، أعلى الصدر.

وزرت فلاناً: تلقيته بزَوري، أي بصدري... أو قصدتُ زَوره، أي صدره.

وزاره يزوره زوراً، وزيارةً، وزارةً: عاده.. وزار فلانٌ فلاناً: مال إليه.

والزورة: المرة الواحدة.

ورجل زائر، وإمرأة زائرة، من قوم زُور، وزوار، وزور. والأخيرة إسم للجمع.

والزَور: الذي يزورك، يقال: رجل زور، وقومٌ زور، وإمراة زور، ونساءُ زور، يكون الواحد والجمع والمؤنث والمذكر بلفظ واحد لأنه مصدر...

وقد تزاوروا: زار بعضهم بعضهم.

والتزوير: كرامة الزائر، وإكرام الزائر، وإكرام المزور للزائر.. يقال زوَروا فلاناً: أي أكرموه...وقد زوَر القوم صاحبهم تزويراً، إذا أحسنوا إليه.

واستزاره: سأله أن يزوره.

وتطلق الزيارة ويُراد بها عندما يبحث عن حكمها، زيارة القبور غالباً.

٢. إصطلاحاً:

أصبحت زيارة الإمام الحسين عليه السلام إصطلاحاً يردد على الألسن ويقصد به مجموعة من المفردات العبادية الربانية التي يقصد بها وجه الله تعالى، فعندما يزور الناس بعضهم البعض يقصد بذلك أن أحدهم حلَ ضيفاً عند الآخر في منزله، لكن زيارة الإمام الحسين عليه السلام يقصد بها معنى آخر ألا وهو شدَ الرحال إلى بقعته الطاهرة إلى كربلاء المقدسة، حيث القبر الشريف وحرمه الشامخ طهارة، أي موضع إستشهاده عليه السلام، ليقوم الزائر بأعمال الزيارة العبادية، حيث يتلو نصوص الزيارات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في هذا المقام، كالسلام عليه، أو قراءة الزيارة عن بعد....

ومن أهم مفردات الزيارة: السلام والدعاء والتوسل والصلاة.

أولاً: السلام الذي هو نقيض الحرب وهو دعاء يخاطب به الإمامعليه السلام كإقرار إمامه وشهادة بين يديه. يقال: «السلام عليك يا أبا عبدالله، السلام عليك يا بن رسول الله، لعن الله من قتلك...».

فالسلام إعلان موقف، وإقرار بأن الإمام الحسينعليه السلام مستحق للسلام من الله ومن الأنبياء والمرسلين والملائكة ومن المؤمنين كما ورد في نص الزيارة: «سلامُ الله وسلامُ ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين، عليك يا مولاي وابن موالي ورحمةُ الله وبركاتُهُ».

فإن الزائر يلقي السلام على الإمامعليه السلام ليثبت هذا الإيمان، ويعلن هذا الإحترام، بل أنه بعد موته يكون أبلغ باعتباره الآخرة هي دار السلام.

ثانياً: الدعاء هو سلاح المؤمن وعمود الدين ونور السماوات والأرض وهو أن يبتهل الإنسان إلى الله بالسؤال رغبة فيما عنده من الخير[٢]. فهو سلاح المؤمن لنيل رضا الله وقضاء حوائجه ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٣] ويكون الدعاء أفضل وأسرع من حيث الإستجابة إذا كان في أماكن مخصوصة، وقد قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[٤] وموضع القبر الشريف بقعة طاهرة من طهر طاهر مطهَر. وقد ورد عن أبي عبد اللهعليه السلام «إن لموضع قبر الإمام الحسينعليه السلام حرمة معلومة، من عرفها واستجار بها أجير...وموضع قبره منذ يوم دفن روضة من رياض الجنة، ومنه معراج يعرج فيه بأعمال زوَاره إلى السماء، فليس ملك ولا نبي في السماوات. إلا وهم يسألون الله أن يأذن لهم في زيارة قبر الإمام الحسينعليه السلام، ففوجٌ ينزل وفوجٌ يعرج»[٥].

ثالثاً: التوسل ومن خصوصيات الزيارة أن يتخذ الإمامعليه السلام وسيلة إلى الله تعالى لإستجابة الدعاء كونه شفيع الأمة كما قال عنه رسول اللهصلى الله عليه وآله حيث قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[٦].

رابعاً: الصلاة هي أن يصلي الزائر في حرم الإمام الحسينعليه السلام لله رب العالمين، إما الصلاة المفروضة وإما الصلاة النافلة، باعتبار قبر الإمام الحسينعليه السلام بيت من بيوت الله، حيث تتضاعف الحسنات وقد ورد عن جابر الجعفَي أنه قال: قال أبوعبد اللهعليه السلام للمفضَل- في حديث طويل- في زيارة قبر الإمام الحسينعليه السلام: ثمَ تمضي إلى صلاتك ولك بكل ركعة ركعتها عنده كثواب من حجَ ألف حجَة واعتمر ألف عُمرة وأعتق ألف رقبة، وكأنَما وقف في سبيل الله ألف مرَة مع نبيَ مُرسل».

وأيضاً عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: «من صلَى خلفه صلاة واحدة يريد بها الله لقي الله يوم يلقاه وعليه من النور ما يغشى له كل شيء يراه والله يكرم زواره ويمنع عنهم النار أن تنال منهم».

الفصل الثاني:

الزيارة الأربعينية إنطلاقة تحول لشباب اليوم نحو التغيير

أ.الآثار التربوية لزيارة الأربعين:

لابد لنا من تعريف التربية قبل الدخول بالحديث عن الآثار التربوية للزيارة الأربعينية وإنعكاسها على الشباب:

١. **تعريف التربية:** من خلال العودة لمعاجم اللغة العربية[٧] نجد أن كلمة التربية لها ثلاثة أصول لغوية هي:

- الأول:ربا، يربو، ربوا، بمعنى زاد ونما، نميته.
- الثاني: ربى، يربي، بمعنى نشأ وترعرع.
- الثالث: رب، يرب، بمعنى أصلحه وتولى أمره وساسه وقام عليه.

وفي اللغة اللاتينية استخدمت التربية **Education** للدلالة على تربية النبات أو الحيوانات، وللدلالة على الطعام وتهذيب البشر دونما تفريق بين هذه الأحوال جميعاً[٨].

٢. **الآثار التربوية للزيارة الأربعينية:** إن الإسلام هو نظاماً تربوياً خاصاً يصيغ من خلاله شخصية الإنسان ويقوَم مساره في الحياة بما ينسجم مع تعاليم الدين ويحقق غاياته في نفسه وفي المجتمع، فالنظام الذي اتبعه أهل البيت عليهم السلام يتوزع رواياتهم على عدة مسارات، فأحياناً توجه رواياتهم الإنسان المؤمن بشكل مباشر باتجاه الخير والإصلاح والصواب، وحيناً آخر يتم الإصلاح من خلال خلق الأنموذج في المجتمع وتجسيد المبادئ والقيم علمياً على أرض الواقع، فيراها الناس فيتأسون بها، كما فعل المعصوم وتعامله مع الناس، ففعله حجة يستنبط منه الأحكام ويعرف منه الفضائل.

كما تتم صياغة الشخصية من خلال ممارسة العبادات كالصلاة والصوم والدعاء وغيرها من العبادات. إلا أنه لا يكفي القيام بها وأن نقول « أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأشهد أن الموت حق، وأن البعث حق، وأن القيامة حق» فلصياغة الشخصية الإسلام لا يطلب أن ننطق هذه الكلمات أو أن نؤمن بهذه الكلمات في عقولنا، أو أن نمارس الصوم والصلاة والعبادات دون محتوى. بل يريد أن يدخل الإنسان هذه الكلمات الى قلبه وروحه وأعماق نفسه والإلتزام بمضمون العبادات وبالتالي يعيش ويتكلم ويقول ويفعل ويحارب ويسالم ويوالي ويعادي ويتصرف ويحب ويبغض على أساس هذه المفاهيم وهذه المعتقدات وهذا الإيمان لأن الإلتزام بها من شأنه يهذب النفس ويصيغ الشخصية ويؤثر فيها تأثيراً إيجابياً من خلال المضامين التي تحتويها.

فنظام العبادات وسلوك طريق أهل البيت عليهم السلام هو نظام تربوي يرفع الإنسان إلى أرقى المستويات. والزيارة الأربعينية من الممارسات العبادية التي تندرج ضمن هذا النهج التربوي. فهي تحتوي على السلام والدعاء والتوسل والصلاة، وهي الصلة بين الزائر وإمامه، كما أن هناك إنسجام كامل للزيارة مع أفق القرآن الكريم ومع سائر تعاليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل بيته عليهم السلام، فهم عندما وجهوا الناس إلى القيام

بالزيارة وحثهم عليها فإنما يوجهون إلى قيم الخير والإصلاح وخير دليل ما نراه من ممارسات يقوم بها محبو آل البيت عليهم السلام في كل عام بتجديد البيعة والعهد للإمام الحسين عليه السلام في الأربعينية من تحفيز وتنظيم الناس للزيارة....

٣. **انعكاس الآثار التربوية للزيارة الأربعينية على الشباب:** تعتبر مسيرة الإمام الحسين عليه السلام نهج أخلاقي وسلوكي ورؤية نحو الإصلاح والتنمية وتهذيب الفرد، لأن أصل الثورة قامت من أجل الإصلاح في الأمة التي تعرضت الى الهجمة الشرسة من قبل يزيد الذي كان شعاره إنحراف الناس وخروجهم عن القيم الأخلاقية والدينية.

فالزيارة الأربعينية نهج تربوي وصلة بين الفرد والإمام عليه السلام، وتشكل مصدراً ثرَ في إصلاح الفرد وفي توجيهه نحو الدين وتعاليمه، ونحو قيم الخير والصلاح لما في ذلك من صلاح للفرد وخيره. وهي جزء من الدين وليس بديل عنه بل هي حافز للدخول في الدين، فمن خلال تواجد الشاب الزائر في حضرة الإمام الحسين عليه السلام وفي حرمه الطاهر وبقعته المشرفة، يؤدي ذلك الى التقرب من الله ونيل رضاه والإستغفار لتدفع بذلك الشاب نحو التوبة النصوحة، وتشويقه إلى الإلتزام بالجوارح ومراقبة النفس لكيلا تنحرف عن النهج القويم والصراط المستقيم.

حيث يدخل أجواء الزيارة فتأخذه بلطفها نحو صلاحه، وكذلك التوجيه لآداب الزيارة بدوره يساهم في تحفيزه والتزامه بها، لصلاح نفسه وهداهيتها، بما في ذلك الفعاليات والأنشطة التي تحيي فيها الشعائر وأمر أهل البيت عليهم السلام.

فالزيارة تساهم بتحمل المسؤولية والإنتماء إلى خط الإمام الحسين عليه السلام المتواصل إلى يوم القيامة. وكذلك بتحمل مسؤولية عالمية لكل البشر في الأخذ بالثأر. فالتحدي في نصرة أهل البيت عليهم السلام قائم ومستمر، والعداء لهم بأشكاله المختلفة كذلك مستمر إلى يوم القيامة، وعلى ذلك الزائر يبدي الإستعداد لذلك التحدي وكما جاء في الزيارة: «فليت أني معكم فأفوز فوزاً عظيماً».

وقد جاء في دعاء إحدى الزيارات «ضمنت الأرضُ ومن عليها دمك وثأرك، يا ابن رسُول الله صلى الله عليك. أشهد أن لك من الله ما وعدك من النصر والفتح، وأن لك من الله الوعد الصادق في هلاك أعدائك، وتمام موعد الله إياك، أشهد أن من تبعك الصادقون».

إن الإقتداء بآل البيت عليهم السلام وإتباع السلوك الصحيح والنهج القويم، فمن كان يرجو الله وسبيل الله فعليه أن يتخذ من قانون الأسوة مربياً لنفسه، فقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ والإمام الحسين عليه السلام قد قال: «ولكم فيَ أسوة»، أي أن يعيش الإنسان كما عاشوا مستجيباً لتعاليمهم وارشاداتهم، فقد جاء في زيارة الإمام الحسين عليه السلام « اللهُمَ اجعل محياي محيا مُحمَد وآل مُحمَد، ومماتي ممات مُحمَد وآل مُحمَد صلى الله عليه وآله وسلم».

فالمؤمن المحب لآل البيت عليهم السلام عليه أن ينعكس اتباعه لهذا النهج في معاملته مع أهله وسائر الناس،

وأن يحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح الأمة، لكي يقتدي بهذه السيرة العطرة ويمتثلها في حياته.

فالزيارة تعطي الشباب الدروس في الإقتداء لما فيها من عبارات تستدعي التأمل، «...إنها تعلمنا كيف نقتدي بالسبط الشهيد في طاعة ربه، بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وهكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكيف نستقيم على الطريق حتى الموت»[٩].

كما توفر الأرضية الصالحة للشباب لتحقيق أهداف ومقاصد النهضة الحسينية، لما لها من تأثيرات إستثنائية في تجيش الوجدان الإنساني وكسبهم أعلى درجات الثقافة حيث تشكل الزيارة الأربعينية الرافد الثقافي العقائدي للشباب، فهي تمدهم بنبع الأفكار الثقافية الجماعية على نحو سنوي، ففي كل سنة في نفس التوقيت يعيش الشباب المسلم أجواء الزيارة الخالدة، ويستمدون منها ثقافة إيجابية لاسيما في مجال الأفكار التي تدعم مساراتهم الإنسانية السليمة في الحياة. كما تعمل على تحريك طاقاتهم وتثوير أفكارهم، ومن ثم منحهم حيوية مضاعفة تجعلهم أكثر أملا بالحياة وأكثر تشبثاً بالتطور والتقدم والإنتاج والإبتكار. وهذا ما تشهده أرض كربلاء كل عام من الجموع الغفيرة التي تعمل على تفعيل كل الفعاليات الفكرية والثقافية والخدمية المتعددة.

فهي التي خرَجت أولئك الشبان الذين يحترقون شوقاً للذهاب إلى الجبهات القتالية ضد الظلم، ويطلبون الشهادة ويفخرون بها. حيث تلعب الدور الحاسم في حفظ حرية التعبير بجرأة، عن القناعات التي غيرَّت معالم العديد من الدول.

ب.وسائل من وحي الزيارة الأربعينية في تنمية الشباب:

ما نشاهده من حضور مليوني من كافة دول العالم في أرض كربلاء لا يحدث في دولة أخرى، لذا ينبغي الإستفادة من هذا الحدث من توفر أجواء التحفيز والتشويق وأجواء الحرية وحث الناس على شد الرحال نحو الأرض المقدسة الطاهرة المباركة، وتحفيز الناس للقيام بالأنشطة والفعاليات التي تحيي فيها الشعائر وأمر أهل البيت عليهم السلام. وحث الناس لدخول الأرض المباركة بمختلف مستوياتهم وفئاتهم ومذاهبهم، دون تمييز ليتأثرون بأثرها الذي تحدثه في النفوس، ليزداد المؤمن إيماناً ولإعطاء الأمل في نفوس المقصرين لعل الله يحدث في قلوبهم أمل ببركة هذه الزيارة المباركة.

ويقع الدور الأبرز الذي يقوم به الشباب في أربعينية الإمام الحسين عليه السلام كونهم الأكثر نشاطاً وحيوية فالفئة الشابة رجالاً ونساءًا هم من ينشئون أجواء تتلاءم مع هذه المناسبة ليدخل الزائر في أجواء الزيارة من تحفيز وممارسات الشعارات وإقامة المجالس واللطميات وتقديم الخدمات وتنظيم المسيرات وحماية الزوار...» قُل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القُربى»[١٠].

هم الذين يعملون على ضخ الثقافة الحسينية في عقولهم وأذهانهم حيث يقع على عاتقهم إستثمار أجواء زيارة الأربعين لتحفيز باقي الشباب على

الإستفادة من الثقافة الحسينية من جوهر هذا الفكر، لاسيما في مجال رفض الخنوع وعدم الإستجابة للظلم ومقارعة الإنحراف بكل أشكاله، فعند تسلح الشباب بهذا الخط يستطيعون مواجهة مخاطر الثقافات الوافدة والتي تعمل بكل الوسائل والطرق للترويج لأفكار الترويض لصالح الطغاة والظلمة. «من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله فلم يغير عليه بقول ولا فعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»[11] فالمواكب التي تجوب الشوارع للعزاء إنما تواجه الظلم وتتحدى الظالمين.

وحكام الجور والطغيان أدركوا أهمية الزيارة وأثرها على الزائر في التحفيز على الدخول في الدين، لهذا مُنع الناس من الإقتراب من الحرم المطهَر، وهدمه، والإعتداء على حرمته، كما فعل الأمويون والعباسيون وطغاة العصر كصدام حسين في الإساءة إلى القبر الشريف وإلى زواره.

وما يسعى اليه الطغاة في هذا العالم لحث الشباب للإنحراف عن هذا النهج المستقيم باستخدام شتى الطرق والوسائل. لكن كربلاء مدرسة للتربية ونبراساً للمجاهدين والأحرار ومصدراً للإشعاع الديني والفكري بقيت وزهق الباطل واندحر ولذا ذهب الطغاة والجبابرة «وأتبعوا في هذه الدُنيا لعنةً ويوم القيامة»[12].

ج. زيارة الأربعين تجمهر شبابي حضاري:

من يرى الجماهير الحاشدة في الزيارة يلاحظ عمق المناسبة وصاحبها، وهذا الصوت الخالد يعيش في نفوس الناس. إنه تصرف غريب لمن يجهل قدسية هذه البقعة من الأرض ومن ضمنها. ففي زيارة الأربعين نجد أكبر تجمهر شبابي حضاري لا مثيل له في أي من التجمعات البشرية التي تحصل لتميزه بصفات الحضارة والتعايش السلمي، حيث تتواجد ملايين الشباب ضمن المسيرة الحسينية دون تصادم أو نزاعات يجمعهم الحب والعشق الحسيني. وهذا يدل على إنسانية الحدث الحسيني بما تحمل الإنسانية من معنى وعلى رأس معانيها دور الدين كونه الملهم للروح الإنسانية التي جسدها الإمام الحسين عليه السلام. الكل مدعو للمشاركة في هذه الأرض المباركة دون تمييز بين عرق أو لون أو دين من كافة بلدان العالم الفقير والغني والكبير والصغير المثقف والأُمي الكل يقتدي بصانع الحضارة الإمام الحسين عليه السلام حيث الربح الدائم لا معنى للخسارة فعن النبي صلى الله عليه وآله قال «حسين مني وأنا من حسين» فكيف لأتباع رسول الأمة أن يخسروا، مع الحسين الفوز يكون في دنيا والآخرة.

هذا التجمهر الحضاري الإسلامي المتجدد التي فاق كل أنواع الحضارة الحديثة والمتقدمة من حيث الجهد المادي والمعنوي الذي تخلفه الجماهير في هذه البقعة من الأرض سواء من معتقدات دينية وأدب وفنون وعلوم وقوانين وعادات وتقاليد وآثار مادية غيرها.

فالحضارة في العصر الحديث لا تخصّ شعباً من الشعوب فقط، بل إنّها تعمّ جميع الشعوب المتخلفة والمتقدّمة وكذلك الأربعين لكن ما يميز الأربعين أنها نابعة من الدين الذي وجد حلاً للعديد من المسائل الحضارية والمشاكل الكامنة فيها والتي عجزت عنها

كل أشكال الحضارة العصرية.

ذلك لأن الثقافة الحسينية هي الثقافة العالمية المُستندة لمفهوم التطور والتحوّل، والحراك الفكري والعلمي الذي يرفض مناخ التقوقع والانعزال والتعصب، المُستلهمةً من القرآن الكريم أُسسها. والمُتخذةً من الإرث الإنساني الهائل الذي تركه المسلمون الأوائل في المجالات المعرفية شتى، قاعدة في الرؤى الثقافية، إضافةً إلى الآثار الفكرية والإبداعات التي غطت مُختلف أوجه النشاط الثقافي الإسلامي وما انطوت عليه تجربة الانفتاح على الثقافات الأُخرى من قيمة حضارية من خلال حركة التأليف والترجمة والنقل...

الفصل الثالث:

أهداف تنموية من الزيارة الأربعينية لتربية الشباب

أ. تكوين هوية حسينية عالمية موحدة:

أن للمشاركة في الزيارة الأربعينية دوراً حساساً ومؤثراً في توحيد كلمة الشباب المسلم، وتشكيل وحدة مجتمعية متراصة بينهم يجمعهم الوجد والعشق الحسيني، الفوّاح بالإيمان والإخلاص والصدق والثبات، وفي تهيئة المناخ التربوي، والتثقيفي لتنشئة شباب مجاهد، مستعد للإستشهاد...لأن هذه الذكرى ذكرى لمصائب سيد الشهداء والمظلومين عليه السلام، حيث تظهر مظلومية ذلك المؤمن الذي ضحى بكل ما يملك بنفسه، وبأولاده، وأنصاره في سبيل الله...

في الأربعين نجد كل الشباب موحدين من كل الطوائف والمذاهب تحت راية الإمام الحسين عليه السلام وهو دليل واضح على وحدة الولاء ووحدة الهدف والتي تشكل التهديد رقم واحد لهيمنة الطغاة على العالم، لاسيما المسلمين المنطلقين والمسترشدين من هذا الفكر الحسيني الذي وضع قواعد تفضيل الآخرين على النفس من خلال ترسيخ قيم الإيثار، وجعلها قيمة ثقافية سلوكية تمثل ثقافة حياة الشباب حيث تجعلهم يعيشون أجواء المحبة والسلام والتفاني والكرم، بتجلي أروع القيم وما نشهده في كل عام على أرض العراق والذي لا يوجد في أي بقعة من بقاع هذا العالم، على مر الزمن، حيث تستقطب هذه البقعة كل الجماهير. مما جعل من كرم العراقي ما يفوق الوصف بالصفات التي يظهرها أثناء الزيارة الأربعينية، والملفت استمرارية عادات الجود والكرم بين الأجيال، فهم يُسطرون أجمل الملاحم الخالدة في تأريخ العراق، الكل يخدم ويكرم الزوار الكبار والصغار والشيوخ، الجيش والشعب والأرض.... فالزائر لا يحتاج شيئا إلا ويجده في طريقه، وعلى مدار الساعة، بل وفي شهري صفر ومحرم، حيث يتبرع كافة الناس من مختلف أنحاء العراق وغيره من الدول المسلمة، لتقديم المساعدة والدعم والخدمات للزوار الذين يتوافدون من كافة أنحاء العالم مسلمين وغير مسلمين وأجانب... فكل من يدوس الأرض العراقية ينعم بالضيافة والكرم والملفت ميزة التنافس التي تعم أرجاء الأرض العراقية في تقديم الضيافات والخدمات من الكل الفقير والغني لا أحد يبخل، ففي أرض العراق ترى من يغسل قدمي الزائر ومن

يدلك الجسم لراحة الزائر، هذه الصفات من العطاء التي يعجز المرء عن وصفها.

جعلوا من هذه البقعة محطة للتزود بالقيم والنبل والمثل التي تختص بالتطور والرقي للشعوب. كما أصبحت أفضل وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي، ففي الأربعين تُدمج ثقافات كل الشباب بثقافة واحدة هي الثقافة الحسينية ثقافة التضحية والإيثار، تتوحد الغايات والأهداف، الكل يحترم الآخر ويكون التعاون سيد الموقف على حب آل البيت عليهم السلام وهذا التلاحم والتعارف بين الشباب، ينتج رأس مال إجتماعي بينهم وينعكس بحد ذاته على تلاحم الشعوب وإندماجها مما يخلق صيغ جديدة للتعاون والتبادل والحوار وفتح العلاقات بين الدول، وهذا من أرقى صور التعاون والتلاحم بين البشر الذي يسوده السلام والمحبة. نعم إن كربلاء الحسين عليه السلام روضة من رياض أهل الجنة. وما ورد في قدسية هذه الأرض عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «اتخذ الله أرض كربلاء حرما آمنا مباركا قبل أن يخلق الله أرض الكعبة ويتخذها حرماً بأربعة وعشرين ألف عام وإنه إذا زلزل الله تبارك وتعالى الأرض وسيرها رفعت كما هي بتربتها نورانية صافية فجعلت في أفضل روضة من رياض الجنة وأفضل مسكن في الجنة لا يسكنها إلا النبيون والمرسلون أو قال أولوا العزم من الرسل فإنها لتزهر بين رياض الجنة كما يزهر الكوكب الدري بين الكواكب لأهل الأرض يغشى نورها أبصار أهل الجنة جميعاً وهي تنادي: أنا أرض الله المقدسة الطيبة المباركة التي تضمنت سيد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة»[١٣].

إن هذا التوحد والتكاتف في الأفكار يعمل على شحذ الهمم والنفوس بالمعنويات التي تعتبر الغذاء الروحي لمواجهة التحديات والمشاكل، هذا الغذاء التي يستمر معهم عند عودتهم من الزيارة لينعكس في تصرفاتهم وأفعالهم كرفضهم لكل أنواع الظلم والوقوف مع الحق والخير والسلام وإن ما يشهده العالم من حروب ونزاعات، وكيف لفئة قليلة تغلب فئة كبيرة من خلال استمداد القوة من هذا الغذاء المعنوي والروحي مقتديين بالإمام الحسين عليه السلام وما جرى في واقعة كربلاء ومتخذين الإمام الحسين أنموذج لمحاربة أعداء الإسلام والمفسدين في هذا العالم.

ب. دور علماء الدين في تثقيف الشباب وتهيئتهم ليكونوا حسينيون:

١. توعية الشباب وتوجيهم:

إن المشروع الإستعماري الذي تقوم به الأيادي الشريرية في هذا العالم في الغزو الثقافي والفكري... هو المهدد لمستقبل الأمة والدين، إنه الحرب على الإسلام وقيمه ومفاهيمه وقرآنه ونبيه وعلى أساس وجوده. فالهجمة واقعية ولا يمكن الغفلة عنها لذلك على الكل أن يعمل معًا على مواجهته والدفاع عن وجود هذا الدين وقيمه، ولبقائه دون السماح بالقضاء عليه ومسخه، وتغييره وتغيبه وعدم إعادة الأمة إلى الجاهلية، (الأمور الأساسية التي جاهد وفدى بروحه لأجلها الإمام الحسين عليه السلام، ليبقى الدين المحمدي مستمرًا حتى قيام الساعة). وإنطلاقًا من هذه الرؤية، يجب التخلي عن كل الخلافات العقائدية

والدينية، وهنا يبرز الدور الإيجابي في المجتمعات لعلماء الدين سواء خطباء أو قُراء عزاء...، في إنتهاز الفرصة من خلال هذا التواجد البشري الحيوي لأداء دور الناصح والموجه ومعالجة كثير من هموم الأمة وتنوير الناس، ولاسيما الشباب كونهم أصحاب الهمم والطاقة. فمن الضروري أن يعمل العلماء بالطريق والمسلك الصحيح بتقديم النصح بطرق عصرية وسلامة فكرية تستوعب الشباب، وتهيئ أجواء مناسبة لمعالجة همومهم والتعرف على أحوالهم وترسيخ نهج الإمام الحسين عليه السلام في نفوسهم، لبث الوعي ومكافحة الفساد. وكذلك الحث على التكاتف بين جميع أفراد الامة، ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[١٤]. والتحرك لتحقيق هذا الهدف، وتحمل مسؤوليتهم تجاه الأمة في الإبتعاد عن التفرقة والنزاعات الداخلية، سواء كانت عقائدية أم فكرية أم تاريخية، والتصالح في العالم العربي والإسلامي بين التيار الإسلامي والتيارات القومية والوطنية لان هذا الأمر يعد من أهم أشكال الهيمنة الإستعمارية على البلدان المستضعفة في هذا العالم وخاصة الإسلامية.

لذا يجب التركيز في خطاباتهم ونشاطاتهم بالحث على التعاون ليكون الجميع في موضع الحذر والوعي واليقظة، وعلى ترسيخ الإيمان في أعماق نفوس الشباب، بحيث لا يكفي إنتماء الفرد إلى الإسلام وعاداته وتقاليده ومشاعره هي عادات وتقاليد ومشاعر مستمدة من الجاهلية. بل يجب إدخال الإيمان في أعماق القلوب والوجود والكيان والحياة أي التكلم والفعل والتحرك والحرب والسلم والمعاداة وكافة السلوك والتصرفات على أساس مفاهيم ومعتقدات الإيمان كما فعل أبو عبدالله الحسين عليه السلام ومن هنا نجد بأن الاهتمام القرآني بأن يزداد المؤمنون إيمانًا ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾[١٥].

وكذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[١٦].

أي العمل على تكريس الطاقات الشبابية بطاقة عبادية ومسارًا سياسيًا لمواجهة الحكام والجبابرة، لتتولد الإرادة والعزم والقوة والنشاط، والأمل والوضوح والإخلاص والجدية والمثابرة والإستهانة بالصعوبات والثبات في الشدائد والصبر على التضحيات، وتشكيل العوائق أمام كل من يبحث عن طمس ما جاء به الإسلام أو أي إحتكار أو غزو ثقافي أو فكري أو عسكري.. أو توظيف أو تقسيم في الأمة.... للحفاظ على الإسلام كما جاء محمدياً وبقي حسينياً.

٢. سُبل المواجهة:

يتعرض العالم اليوم إلى صراع حقيقي، وأطماع واضحة فهناك أيادي تريد تحريف وحدة المسلمين في العالم، لذلك ينبغي أن تكون الرسالة هادفة لهذه المواجهة لعدم الإنجرار نحو القضايا والنعرات الطائفية والمذهبية التي تخطط لها أيادي الشر.

١. دور علماء الدين في إسقاط أهداف الطغاة، وتنوير الشباب في مواجهتهم واقتلاع جذورهم

وكيفية محافظة البلدان على ثرواتها ومعتقداتها وتقاليدها وعاداتها وقيمها وعباقرتها، والأهم حضارتها الأصيلة التاريخية.

٢. التمسك بكتاب الله ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[١٧]. ودعوة الشباب لقراءته، وفهم معانيه لأنه كتاب كل العصور، كتاب لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وتحدث عنها، ولعل أغلب العلوم الحديثة طبقت من القرآن.

٣. فعن رسول اللهﷺ إني تاركٌ فيكم الثقلين ما إن تمسَكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن يتفرقا حتى يردا عليَ الحوض.

٤. تشكيل وحدة مجتمعية متراصة بين الشباب، يجمعهم الإيمان والإخلاص والصدق والثبات... الذي يخلق إستعدادًا جماعيًا بالقيام بالمواجهة والتصدي وعدم السماح لكل من يتسلل إلى قناعات وتقاليد ومعتقدات الحضارة الإسلامية وعلى الإرث الإسلامي بالشكل الصحيح ليستمر من جيل إلى جيل.

٥. تهيئة المناخ التربوي، والتثقيفي لتنشئة شباب مؤمن مستعد لبناء مستقبل الإسلام.

٦. إعادة إحياء ما عطل من الدين ونشر مبادئ الإيمان والتقوى لما لهذا من تأثيرًا في حفظ الإسلام والمساجد والعقيدة...ودورًا حاسمًا في حفظ حرية الأمة، وتوحيد كلمة المسلمين. خاصة إذا كانت التعاليم التي تنشر وتنور للشباب متصلة، بالعقيدة التي تختزن بالمستقبل، أي عبر وحدة الإمامة التي إبتدأت بعد رسول اللهﷺ، بأمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، لتختتم بقائم آل محمدﷺ الحجة المنتظرعجل الله فرجه الشريف.

٧. العمل على زيادة حب آل النبيﷺ، ومصادر المعرفة الإلهية يفرض على علماء الدين، التحدث أو القيام بما يقرب الشباب من الله والتمسك بالرسالة المحمدية. وذلك عبر توضيح مبادئ قيام الإسلام، وإبلاغ وشرح المعارف الإيمانية بين الناس، وتوعيتهم لعدم الوقوع في محذور التوهين بالدين...بالتركيز على الأسس الصحيحة.

٨. أن يسعى علماء الدين إلى دفع الشباب إلى القضايا الإسلامية، وإعطائهم التوجيهات اللازمة في كافة الشؤون السياسية والإجتماعية والإقتصادية...

٩. اليقظة الدائمة والحذر والوعي بين الشباب، وعدم الغفلة والتجاهل من خطر الغزو الفكري والثقافي، كي لا يصبحوا مصداقًا لكلام أمير المؤمنينعليه السلام «من نام لم يُنم عنه».

١٠. تحصين الشباب، بإنشاء المؤسسات التربوية والثقافية والتعليمية التي تمكنهم من تقوية إيمانهم وتحصيلهم للعلوم على أنواعها للحد من إستقطاب الغرب للأدمغة، وجذبهم لعدم الهجرة التي تصب بمصلحة الطغاة الذين يعملون على توفير فرص التعليم والتخصص المجاني، وفرص العمل.... لتأثير في أفكارهم وتغييرها.

١١. إستغلال القنوات الرسمية والأقمار الصناعية، لبث البرامج التربوية والعلمية... ووضع إستراتيجات إعلامية إسلامية شاملة، تخدم الأهداف السامية والمقاصد النبيلة، الداعية

لنهضة إسلامية عالمية، تساهم في محاربة التيارات المتطرفة.

١٢. إقامة الندوات والمحاضرات المتعلقة بواقعة كربلاء على مدار السنة لترسيخها في النفوس وتهيئتهم ليكونوا حسينيون بكل أفعالهم وتصرفاتهم.

الخلاصة

- أن يؤمن الشباب بأن هذه الرسالة الحسينية رسالة حق وأن الحق مهما غالبه الباطل، فلا بد من أن ينتصر في نهاية المطاف... وما هذه الصراعات بين أهل الحق والباطل، إلا إبتلاءات رسالية لتقوية عضد أهل الحق والإيمان.
- زيادة حب الإمام الحسين عليه السلام وآل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قلوب الشباب، وكذلك زيادة مصادر المعرفة الإلهية، وتوضيح مبادئ قيام النهضة العاشورائية، وشرح المعارف الإيمانية من خلال المجالس الحسينية والمحاضرات...
- يجب على علماء الدين دفع الشباب للإهتمام بالقضايا الإسلامية، وإعطائهم التوجيهات اللازمة في الشؤون الاجتماعية والسياسية... كي يصبح الشباب على أهبة الإستعداد ويكونوا حاضرين في ميادين الأحداث.
- التركيز على نشر أهداف النهضة الحسينية وربطها بقضايانا المعاصرة، للقضاء على التضليل والإستبداد والتحريف...
- دور علماء الدين في توجيه الشباب للمراسم العاشورائية لما في ذلك من تأثير في روحية وثقافة الشهادة الحياة، والجهاد والإنتصار، وبناء المجتمعات والدول والمستقبل...
- التركيز على إحياء الشعائر الحسينية، التي تعمل على إرتباط الشباب بعضهم بالبعض الآخر، وتشكل هويتهم السياسية والإعتقادية كالمواكب والمآتم...
- تعبئة الشباب فكرياً بسيرة الإمام الحسين عليه السلام.

الهوامش والمصادر والمراجع

(١) شمس الدين، محمد مهدي:»ثورة الحسين عليه السلام ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، المؤسسة الدولية للدراسات، بيروت، ط٧، ١٩٩٦، ص٥٠

(٢) مجمع البحرين، ج٢، ص٣٩، للمحدَث الفقيه الشيخ فخر الدين الطريحي.

(٣) سورة غافر، الآية ٦٠.

(٤) سورة النور، الآية ٣٦.

(٥) ابن قولوية: «كامل الزيارات»ص٢٨٦

(٦) سورة المائدة، الآية ٣٥.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، نما. ط١، بيروت، دار صادر، ١٩٧٣،.ص٤.

(٨) عمر عبد الله شلّح، أساليب التربية الحزبية وعلاقتها بالاتجاهات التعصبي، لدى طلاب الجامعات في محافظات غزة، جامعة الأزهر- بغزة. الدراسات العليا، كلية التربية، ص١٤، عن روتيه أبو بيرو، ١٩٨٣، ص٢٢.

(٩) الإمام الحسين عليه السلام مدرسة الحكمة والحماس، بيان عاشوراء ١٤٣١هـ، آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي، ص ١٢.

(١٠) سورة الشورى، الآية ٢٣.

(١١) المجلسي، محمد باقر: «بحار الأنوار» مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة، ١٩٨٢م، ج٤٤، ص٣٢٣.

(١٢) سورة هود، الأية ٦٠.

(١٣) الطبرسي: «مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل» تحقيق مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت، قم ط٢، ١٤٠٨هـ، ج١٠، ص ٢٢٢.

(١٤) سورة الأنبياء، الآية ٩٢.

(١٥) سورة الأحزاب، الآية ٢٢.

(١٦) سورة الفتح، الآية ٤.

(١٧) سورة الأنعام، الآية ١٥٥.